التوجهات المعمارية العربية المعاصرة والتراث: العراق كدراسة حالة

Contemporary Arab Architectural Trends and Heritage: Iraq as a Case Study

أ.د/ عوض سعد حسن
عميد كلية العمارة والتخطيط ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
Prof. Dr. Awad Saad Hassan
Dean, College of Architecture and Planning, Sudan University of Science and Technology
awadshassan@yahoo.com

أ.د/ خالد علي الخزين
رئيس قسم التصميم الداخلي، كلية الفنون الجميلة والتطبيقية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
Prof. Dr. Khalid Ali Elkhazen
Head of Interior Design Department, Sudan University of Science and Technology
khalidkhazinalicapo@gmail.com

م. جنان مؤيد عبدالله
طالبة دكتوراه ، قسم التصميم الداخلي، كلية الفنون الجميلة والتطبيقية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
Eng. Jeanan Moayad Abdullah
PhD studant, College of Fine and Applied Art, Sudan University of Science and Technology
j_elbedri@yahoo.com

ملخص البحث:

أثر التقدم السريع للتكنولوجيا وعوامل أخرى على السمات الخاصة بالعمارة العربية المعاصرة، قاد ذلك الى حدوث فوضى في النتاج المعماري وفقدان الهوية بسبب ولادة إشكالية ذات اتجاهين متناقضين، أولهما: العودة إلى العمارة التراثية بقيمها النظرية والتطبيقية، والثاني: الحداثة الغربية والتحرَّر من القديم واستحالة العودة إلى الماضي. إضافة إلى تيارات معمارية ناشدت بضرورة الاستمرارية الحضارية التي تتطلّب التأصيل في التعبير المعماري وربطه بمفاهيم الحداثة. من هنا ظهرت مشكلة البحث في عدم وضوح الرؤية في البناء الفكري المعماري العربي على الرغم من تعدد التوجهات المعمارية التي تسعى إلى خلق عمارة عربية معاصرة، وغياب الهوية مع غياب التوجه الواضح في النظرة إلى التراث. يهدف البحث إلى تحديد آلية لتحليل الواقع المعماري العربي المعاصر بشكل عام ونتاج رواد العمارة في العراق كدراسة حالة، حيث قدم البحث عرضاً وتحليلاً للتيارات الفكرية المعاصرة وطريقة تناولها للتراث وإنعكاس ذلك على التوجهات الفكرية المعمارية المعاصرة ونتاجها المادي متمثلة بأعمال بعض المعماريين الرواد العراقيين. ثم تقييم الواقع المعاصر وإشكالياته من أجل التوصل إلى إستنتاجات وتوصيات تساعد في إرساء دعائم النظرة المستقبلية لبناء الهوية العربية في العمارة المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: التوجهات المعمارية المعاصرة، العمارة العراقية المعاصرة، الهوية، التراث، الحداثة.

Abstract

The rapid progress of technology and other factors have a severe impact on the characteristics of contemporary Arab Architecture. These factors led to chaos in Architectural production and loss of identity due to the Prominence of a two-way problematic problem. First, the return to traditional Architecture (Heritage) with its theoretical and applied values. Second, the western modernity (The

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

disposal of the past). Third, the other current trends in Architecture, which appealed to the need for continuity of traditional heritage and linking it to the concepts of modernity at the same time. Hence the problem of the research is in the lack of clarity of the Architectural concepts, despite the multiplicity of Arab Architectural trends that seek to create contemporary Arab architecture. Besides, the absence of identity and the lack of clear orientation in the perception of heritage. The research aims to identify a mechanism to analyze the contemporary Arab Architectural reality, and the production of Architectural pioneers in Iraq as a case study by presenting the analysis of contemporary intellectual currents and their way of dealing with heritage. Further more, the evaluation of contemporary reality and its problems to reach conclusions, and recommendations that help lay the foundations for the future vision to build an Arab identity in contemporary Architecture.
Keywords: Contemporary Architectural Trends, Iraqi Architecture, Identity, Heritage, Modernity.

1. المقدمة:

العمارة هي إنعكاس لحضارة الشعوب ولروح العصر. يشهد العصر حالياً تحولاً فكرياً في المجال المعماري العالمي متأثراً بالتكنولوجيا وثورة المعلومات التي فرضت نفسها على الساحات العلمية والمعمارية، وكان تأثيرها واضحاً على الواقع المعماري العربي، حيث أثبتت العمارة العربية المعاصرة فقدانها لأهم شروط نجاحها وتميُّز هويتها والتي تكمن في إحترام خصائص الإنسان العربي في المكان والزمان لتعكس التقاليد السائدة, التوجه الفكري، القيم الثقافية, نظام المعيشة, التاريخ الحضاري والقيَّم الروحية. لقد تبنَّت توجهات معمارية أهمية التراث في الفن والعمارة العربية المعاصرة، كما وتأثرت توجهات أخرى بالتيار الغربي الحديث، فيما أشارت توجهات معمارية أخرى إلى الحاجة لدمج التراث مع التيار الغربي الحديث. إن هذه التوجهات المختلفة التي حاولت وتحاول جاهدة مواكبة الحداثة بتأثرها بالنتاج الغربي من جهة، وعدم فقدان التراث من جهة أخرى ظهرت في نتاجات معمارية مختلفة أدت بالتالي إلى استمرار ضياع الهوية في العمارة، إضافةً إلى إشكاليات أخرى سيتناولها البحث بالتحليل والتقييم.

1.1مشكلة البحث:

- عدم وضوح الرؤية في البناء الفكري المعماري على الرغم من تعدد التوجهات المعمارية العربية التي تسعى إلى خلق عمارة عربية معاصرة .
- غياب الهوية المعمارية مع غياب التوجه الواضح وخاصة في النظرة إلى التراث.

1.2أهداف البحث:

- دراسة الإتجاهات المعمارية العربية المعاصرة والعراقية تحديدا والفكر المعماري الذي يبنى عليه كل إتجاه من هذه الإتجاهات من خلال تحليل نظرتها إلى التراث والحداثة.
- التركيز على واقع العمارة العربية المعاصرة وإشكالياتها، في محاولة للوقوف عند أسباب إشكالية الهوية في الإنتاج المعماري العربي المعاصر.

1.3 فرضيات البحث:

– العمارة عبارة عن نتاج لمراحل متتالية ذات حلقات مترابطة متكاملة للوصول إلى الحلول المرضية في الزمان والمكان.

– التراث المعماري العربي هو نتاج الإنسان العربي في المكان ذاته بإختلاف الزمان، والعمارة الغربية هي نتاج الإنسان الغربي في الزمان ذاته مع إختلاف المكان.

– الهوية هي النتاج الطبيعي لعمارة تنتمي إلى الإنسان في الزمان والمكان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1.4منهج البحث:

– اتخذ البحث المنهج الوصفي التحليلي في عرض التيارات الفكرية العربية المعاصرة والتوجهات المعمارية العراقية المعاصرة (كدراسة حالة) وتحليل كل منها وفق نظرتها للتراث وتأثيرها في الإنتاج المعماري.

– المرحلة الثانية من البحث ركز على المنهج التحليلي النقدي في تقييم الواقع وإشكالياته المتمحورة حول الإبدع والهوية والتقانة.

1.5 المصطلحات الخاصة بالبحث

أ. **التراث:** هو كل ما يرثهُ الإنسان عن ماضيه سواء كان نتاجاً مادياً أو معنوياً، ويشمل كل المجالات ومنها العمارة.

ب. **الحداثة:** يشمل المصطلح كل نتاج فكري ومادي حديث ولكن تبنى البحث المصطلح للتعبير عن النتاج الغربي.

ج. **المعاصرة:** تشمل النتاج الفكري والمادي، من ضمنها العمارة، منذ بداية القرن العشرين وولادة التيارات الفكرية والتوجهات المعمارية العربية إلى الزمن الحاضر.

د. **التيارات الفكرية:** هو تعدد الآراء أو المواقف الفكرية تجاه قضية معينة ولها أثر في الحياة الإجتماعية والسياسية وبالتالي على جوانب الحياة المتعددة ومنها الفن والعمارة.

هـ. **التوجهات المعمارية:** هي سياقات فكرية ومادية ينتهجها مجموعة من المعماريين متأثرين بتيارات فكرية معينة.

و. **الفكر:** هو الأداة أو الآلية في عملية التفكير.

ز. **الهوية:** مجموعة من السمات الفريدة والأساسية التي تميز العمارة في مكان معين.

1.6 هيكلية البحث:

من خلال تحديد مشكلة وأهداف البحث تم تحديد الهيكلية كما يلي:

– التوجهات المعمارية الغربية المعاصرة وأسس تصنيفها.

– التيارات الفكرية العربية المعاصرة وتصنيفها.

– التوجهات المعمارية العربية المعاصرة في العراق كنموذج.

– تقييم الواقع المعماري العربي المعاصر

– الاستنتاجات والتوصيات

2. تصنيف التيارات الفكرية المعمارية الغربية المعاصرة

هناك العديد من التصنيفات للمعماريين والنقاد حول العمارة المعاصرة والتي اختلفت فيما بينها بإختلاف الرؤية الذاتية للمصنف، وأساس التصنيف، والمدى الزمني له ومن هذه التصنيفات:

2.1 تصنيف كولينز [35] للعمارة الحديثة (1750-1950).

اعتمد في التصنيف على تغير المثاليات التي نادى بها معماريو العمارة الحديثة في اتجاهات مختلفة وكما يلي (شكل1):-

– **الاتجاهات الرومانتيكية** Romanticism: وهي الاتجاهات المعمارية التي صاغت مثاليات العمارة الحديثة في جعل الأولوية للفن والقيم التشكيلية، مثل نصب نيوتن التذكاري للمعماري E.L.Boulee.

– **اتجاهات إحياء الطرز** Revivalism : ضمت هذه المجموعة محاولات تقليد مفردات العمارة الكلاسيكية بهدف العودة إلى روحانيات العصور المثالية، مثل مبنى الكابيتول (Virginia) للمعماري T. Jefferson.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– **الإتجاهات الوظيفية** Functionalism: هي اتجاهات أعطت الوظيفة الأولوية بإعتبارها الموجه الأول للعملية التصميمية والقيمة المثالية العظمى، مثال ذلك مبنى متجر Chicago للمعماري Sullivan.

– **الإتجاهات العقلانية** Rationalism: تصور العقلانيون العمارة المثالية في الإهتمام بالهيكل الإنشائي وخفض التكلفة، من خلال الإعتماد على تكنولوجيا التصنيع والنموذج Module في المشاريع.

شكل (1) نماذج من العمارة حسب تصنيف كولينز Peter Collins

2.2 تصنيف كولتيرمان [43] **لعمارة القرن العشرين (1910- ما بعد1970).**

يعتمد تصنيف كولتيرمان على تغير توجهات العمارة وتباين دورها في خدمة المجتمع كما يلي (شكل 2):

– **الإتجاهات النقية** (1910-1930): التي نادت بضرورة التعبير النقي عن عصر التكنولوجيا واستغلال إمكاناته، مثال ذلك مبنى Mc Graw-Hill للمعماري Hood.

– **الإتجاهات التجريبية** (1930-1950): ضمت هذه الفترة محاولات تجريبية تمردت على الإتجاهات النقية، وتخلصت من سيطرة الألة، مثل مشروع بيت الشلال للمعماري Wright.

– **اتجاهات التوفيق بين المتباينات** (1950-1970) : ضمت المجموعة محاولات التوفيق بين متباينات الفترة، كالإمكانات الجديدة ودمار ما بعد الحرب، مثل مطارDulles للمعماري Saarinen .

– **العمارة المستقلة** (ما بعد 1970): عبرت اتجاهات هذه الفترة عن البيئة المحلية ورغبتها في الإستقلال عن العمارة العالمية، مثل جناح اليابان في اسبانيا للمعماري Ando [34].

شكل (2) نماذج من العمارة حسب تصنيف تصنيف كولتيرمان Udo Kultermann

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2.3 التصنيف الفلسفي للتوجهات المعمارية العالمية

في الدراسات الفلسفية هناك عدة تيارات فلسفية قد تتناول الحقائق نفسها بطرق متباينة. وتظهر هذه الأفكار والتيارات في التوجهات المعمارية (شكل3) على شكل صور لها مواد للقياس خاصة بكل واحدة منها:

- **التيار الفلسفي المادي:** يعتمد النظرية الحسية ويتمثل بإحدى الصور التالية :-

الصورة الجدلية: مادة قياسها من المسلمات، وهي قضايا يحصل التسليم على أنها صادقة لإثارة الجدل حول حقيقتها او عدم كونها كذلك. وهذه الصورة واضحة في أعمال آيزمان (Eisenman) المتمثلة بالعمارة التفكيكية، حيث اعتمد المصمم على البنية الأصلية والإزاحات ما بين الكتلة والفراغ، واعتبر البنية الأصلية هي المُسَّلمة التي يبني عليها الحوار الجدلي للمبنى من خلال العلاقة بين الأشكال الهندسية والتكتونية، فيتلاعب بالمكعب من خلال طرح مكعب من آخر لتوليد الأشكال الأيقونية L التي تخترق ثلاث مستويات وتكرار ضربها لإنشاء تقاطع بينها [40].

الصورة التغالطية: ومادة قياسها من المشبهات، ويلاحظ هنا إن تيار العمارة الحديثة قد حمل في نتاجاته صورة المغالطة، وذلك لأن رواد هذه الحركة تبنوا الجانب الوظيفي من العمارة هاملين بقية الجوانب الإجتماعية والنفسية والبيئية وأعتمدوا على أن الشكل يتبع الوظيفة.

الصورة التخاطبية: ومادة قياسها من المشهورات، ويتم التخاطب فيها على مستوى العمارة من خلال المشهورات المعمارية التي ذاعت شهرتها وزاد التصديق بها (نتاج حركة ما بعد الحداثة) ومثالها مقبرة (سان كاتالدو) للمعمار ألدو روسي والتي تحاكي مبدأ الموت وتنعكس في العمارة المهجورة الخالية من الشبابيك والمدخنة المتوقفة عن العمال.

- **التيار الفلسفي التوفيقي**: يعتمد نظرية الإنتزاع وتمثله الصورة البرهانية ومادة قياسها من اليقينيات.

حيث يعتبر هذا التيار أن الكليات موجودة في الجزئيات ويمكن توضيح ذلك في العمارة من خلال الواجهات المعمارية الإسلامية، فالأشكال الناتجة تمثل صورة برهانية ناتجة عن اشتقاق الأشكال الجزئية هندسياً ورياضياً وما أساس تلك الإ الشكل الرئيسي [33].

- **التيار الفلسفي المثالي**: يعتمد النظرية العقلية وتمثله الصورة الشعرية ومادة قياسها المخيلات.

ويعني في العمارة التخيل والتمثيل كحالة لظاهرة تكمن في حالة أخرى، فمثلا كنيسة رونشامب للمعمار لوكوربوزيه تعكس عملية تخيل وتمثيل العمارة لشكل وهيئة الراهب ومبنى سدني أوبرا الذي يمثل القوقع الموجودة في البحر ومبنى الجندي المجهول في بغداد الذي يمثل حالة سقوط درع الفارس [28].

شكل (3) نماذج معمارية وفق التصنيف الفلسفي للتوجهات المعمارية العالمية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2.4 تصنيف لو تهاوزر [38] **للعمارة المعاصرة (1784-1990)** (شكل 4)
تم الاعتماد في التصنيف على تغير الملامح الرئيسية للإتجاهات المعمارية العالمية وكما يلي:

- إتجاهات الفترة (1784-1916)

شهدت هذه الحقبة تحولاً جذرياً نحو الفكر العقلاني، وذلك بالاتجاه نحو التكنولوجيا وتبني الأفكار التقدمية التي تزامنت مع الثورة الصناعية.

- اتجاهات الفترة (1892-1925)

إتسمت هذه الإتجاهات بالرغبة الجارفة في تطبيق التكنولوجيا. ولم تخل الفترة أيضاً من اتجاهات رد الفعل، التي تم اعتبارها المحاولة الأخيرة للعودة إلى الفن

- اتجاهات الفترة (1912-1939)

ارتبطت الإتجاهات في هذه الفترة بأزمة الإسكان عقب الحرب العالمية الأولى، حيث سعت الإتجاهات لتوفير أعداد كبيرة من المساكن وضمن فترة قياسية.

- اتجاهات الفترة (1971-1944)

إتسمت العمارة في هذه الفترة بالتعددية الفكرية والرغبة في التخلص من سيطرة الإتجاه الواحد، وكانت هذه التعددية نواة للإتجاهات المعمارية التي تلت هذه الحقبة الزمنية.

- اتجاهات الفترة (1956-1990)

ضمت هذه الفترة الإتجاهات التي سعت وراء عمارة جديدة بالخروج عن طرق الإنشاء ومواد البناء التقليدية وبما يتناسب وإمكانيات العصر.

شكل (4) نماذج معمارية وفق تصنيف (Leuthauser) [34]

3. تصنيف التيارات الفكرية العربية المعاصرة

هناك عدة تصنيفات للتيارات الفكرية العربية المعاصرة منها:

3.1 تصنيف المجتمع العربي المعاصر للباحث الإجتماعي بولس الخوري[8].

لقد ظهرت دراسات وتوجهات إجتماعية متعددة منها دراسة وتصنيف الباحث الذي صنفها حسب النظرة إلى التراث والحداثة إلى ثلاث توجهات:

– **الموقف العصراني (الحداثي):** يدين وضع العالم العربي الراهن، ولكنه يدين أيضاً نموذج المجتمع العربي الإسلامي القديم محملا إياه تبعة الإنحطاط والتخلف الحضاري، ويطرح بديلا للخروج من حالة التخلف في إعتماد النماذج الجديدة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي بنيت عليها المجتمعات الغربية الحديثة، وتكييف هذه النماذج لتأتي ملائمة للظروف الخاصة التي يتكون منها وضع العالم العربي الراهن. وقد ساد هذا الموقف الفكري وانعكس في معظم أعمال المعماريين العراقيين المعاصرين.

– **الموقف السلفي (التقليدي)**: ينطلق من إدانة الوضع الراهن في العالم العربي، ليسعى إلى إحياؤه النموذج القديم الذي كان عليه المجتمع العربي الإسلامي.

– **الموقف الإصلاحي:** يقف في الوسط بين الموقفين المتطرفين، ويقول أنصار هذا لموقف بالتغيير لا بالثورة على الواقع، فهم يرون أن احياء الماضي من جهة، واهمال ثقله وتأثيره من جهة ثانية، هما على السواء من ضروب الوهن، فيما يقتضي الواقعية تجاوز الماضي وأن يكون الحاضر امتدادا للماضي من دون إلغاءه. فالمهمة التي يجب الاضطلاع بها هي انشاء نموذج اجتماعي جديد يكون عربياً وعصرياً في آن واحد ويكون بالتالي الشكل الحديث للنموذج الإجتماعي العربي.

3.2 تصنيف التيارات الفكرية حسب النظرة إلى التراث

إن العرب وجدوا أنفسهم في أوائل قرن التاسع عشر أمام نموذجين حضاريين الحضارة الغربية التي كان تحديها لهم ثقافياً وعسكرياً المهماز الذي أيقضهم وطرح مشكلة النهضة عليهم. والحضارة العربية الإسلامية التي شكلت ولا زالت السند الذي لا بد منه في عملية تأكيد الذات لمواجهة التحدي [3]. فكانت الاستجابة بظهور توجهين: الأول نزعة الرفض، والأخرى نزعة القبول: الأولى رافضة محافظة، لإنها رأت في الغرب الذي يهدد كيان الامة ووجودها. والأخرى منبهرة مستلهمة، لأنها رأت في الغرب المنقذ من عذاب الوضع الراهن، وباختلاف الانطلاق كان لابدّ من اختلاف المسيرة [30]. سيتم التركيز على التيارات الفكرية العربية حسب نظرتها إلى التراث ومن ثم انعكاسها في توجهات المعماريين العراقيين ونتاجهم في العمارة العراقية كنموذج.

أ. التيار الليبرالي (الرافض للتراث)

بدأ التوجه في أوربا بعد ظهور الثورة الصناعية وكأن الإنسان يبدأ من الصفر نتيجة الدمار الذي حل في المدن الخارجة من الحرب. إن هذا المبدأ وما لحقهُ من شعارات حول الحداثة وعدم الالتزام بأي شئ سوى القوى الخارقة للتكنولوجيا كان لهُ أنصار ومؤيدين وأدى الإنبهار الحاد بهذهِ الشعارات إلى رفض التراث [13].

يقول عبد الغني [29] " لقد أصبحنا نتعامل مع عالم جديد تسود فيه المعلوماتية والتكنولوجيا الذكية ووسائل الإتصال المفزعة، والمطلوب منا أن نعيد صياغة الفكر العربي في هذا النسيج الجديد قبل أن نصبح خارج النسيج العالمي الجديد". وأنصار هذا الموقف يحسبون أن كل دراسة للتراث يجب وأدها وإبعادها عن الطريق ، لأنها في نظرهم لا تساير صرعات العصر القائم ومتطلباته، لقد فهم الليبرالي التقدم على إنه تحول جذري وفق الأنموذج الغربي، ورأى أنّ النهضة لا يمكن أن تحصل مالم يتبنى المجتمع الحضارة الأوربية [30].

– **التوجه المعماري العربي الرافض للتراث**

بدأ هذا التوجه في أربعينات القرن العشرين، وتميز بالتوجه إلى الغرب كإطار مرجعي ورفض النظر إلى التراث فكراً ونتاجاً. انعكست آثاره بشكل واضح في الكثير من الأعمال المعمارية العربية المعاصرة [18]، ويمكن اعتبار هذا التوجه صدىً قوياً للفكر الذي ساد الغرب مع ظهور الثورة الصناعية (نهاية القرن19 وبداية القرن20) وإفرازاتها الجديدة على المجتمع الغربي، حيث دعوا إلى ضرورة التحرر من الأنماط التاريخية والكف عن إستنساخها ، لإيجاد حلول للوظائف الجديدة التي لا يمكن للطرز التاريخية استيعابها والدعوة لاستثمار المكننة بدلاً من الحرفية لدوافع اقتصادية وتنفيذية[14].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي العراق تميزت خمسينيات القرن العشرين بسيادة توجه الحداثة في أعمال المعماريين العراقيين، إذ كانت الفترة مزامنة للفترة الذهبية للحركة الحديثة في الغرب والتي يظهر تأثيرها بشكل واضح في أعمال معظم المعماريين العراقيين[33]. يذكر السلطاني [10] " ولئن أبانت الحداثة العراقية عن حضورها القوي والصريح في عقود لاحقة ، فان العقد الخمسيني سيذكر، من دون ريب ، بانه وقت ارهاصات ذلك الحضور ومنبع تلك الحداثة" .

- **نماذج من أعمال المعماريين الرواد العراقيين الرافضين للتراث - الغرب كمرجعية** (شكل 5)

- يصنف المعماري العراقي **هشام منير** ضمن توجه العمارة العالمية International Style بمثابة خط عام. ويتضح تأثره بالنموذج الغربي في مراحله الأولى حيث سيطر فيها طابع الحداثة على مفرداته التي اتخذت طابعاً تجريدياً كما في مبنى وزارة التجارة التي توضح تأثره بمبنى بلدية بوسطن.

- **المعماري قحطان المدفعي** تبنى فكر الحداثة، إلا أنه كثيراً ما أدخل عنصراً نحتياً في عمله، فقد إتخذ طابعاً رمزياً فنياً يهدف من خلاله إلى إيصال فكرة أو تعبير معين وليس الدلالة المكانية، وفي هذا المجال يعتبر أكثر الرواد اندفاعاً لفكر الحداثة ضمن مبدأ شمولية العمارة [33].

- **المعماري قحطان عوني**، حيث يذكر السلطاني [10] " لقد انجز قحطان عوني سلسلة تصاميم تجاوز بها مرجعيات الممارسة المعمارية المحلية السائدة ، بل واشهر ، بغير وجل مع معماريين آخرين محدثيين ، قناعات تدعو صراحة بلزوم اجراء قطيعة معرفية ومهنية مع سياق الممارسات الماضوية والعمل على تفكيك قيمها بطرح مقاربة جديدة تنقض قيم تلك الممارسات بدلا من ايجاد " مساومات " تصميمية معها . لقد كانت عمارته من ذلك الصنف الذي يختزل زمناً للقفز الى زمن آخرا".

- **المعماري رفعت الجادرجي** ، حيث ظهرت ملامح تأثره بالحداثة في نهاية خمسينيات القرن العشرين، من خلال تبنيه لنماذج وتطبيقات فكر الحداثة من خلال إستخدامه تكوينات تكعيبية وفصل غلاف المبنى عن داخله بإستخدام مبدأ (Curtain Walls) واستغلال هذه التقنية في تمويه المقياس عن طريق إخفاء فتحات الشبابيك خلف الجدران الستائرية أو في الأركان لتتحول الواجهات إلى تشكيل نحتي. أظهر من خلاله مدى استيعابه لمدارس العمارة العالمية وقدرته على توظيفها في قالب معاصر، الخرسانة كانت هي السمة الأبرز بعد الهيكل الإنشائي الواضح للمبنى بلونها الرمادي ويشبه إلى حد ما انفعالات لوكوربوزييه ، وإن لم يكن بنفس الروح.

- يُعتبر كل من المعماريين **عبدالله إحسان ، حازم نامق، حازم التك، ومهدي الحسني** من ضمن آخرين غيرهم من دعاة الحداثة في العمارة، إذ نجحوا في إدخال قيم جديدة ظلت سائدة لفترة طويلة [21].

شكل (5) أعمال المعماريين الرواد العراقيين الرافضين للتراث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب. التيار السلفي (التراث كمرجعية)

هو أول تيار ظهر في الساحة الفكرية العربية، عند بداية الوعي العربي بضرورة النهضة، معلناً حاجة الذات العربية إلى النهضة العربية المستقلة عن التبعية للغرب، فالنهضة عند السلفي " هي الإشارة إلى الوجود الدائم للماضي التي تدل على أن ما ينشدهُ العرب هو العودة لما مضى لا خلق شئ جديد" [20]، والرؤية السلفية ترد حالة التخلف الاجتماعي للعالم العربي الى الانحراف من التراث[30]. إنه يفكر في النهضة داخل منظومة مغلقة، هي تلك التي يقدمها لهُ النموذج الحضاري العربي الإسلامي في التراث [3].

- **التوجه المعماري السلفي (التراث كمرجعية)**

ظهر هذا التوجه في أعمال بعض المعماريين الذين يدعون إلى نقل التراث بكل أبعاده إلى الحاضر، أو بمعنى أدق نقل الحاضر إلى الماضي " العودة إلى التراث " فالرجعية في الفن ومن ضمنها العمارة ، كما هو حالها في الفكر السياسي والاجتماعي تطرح التراث بمعنى الماضي الإسلامي وتطرحه بديلاً للحاضر، تطرحهُ خارج سياقه التاريخي كلحظة مطلقة ساكنة خارج الزمان والمكان وكأنها قدراً ميتافيزيقياً [25].

يدعو هذا التوجه إلى التعامل مع العمارة من جانبها الاجتماعي مع تأكيده على العودة إلى الحرفية والتقنية التقليدية في البناء، حسب رأي حسن فتحي " ليس في التكنولوجيا المعاصرة ما يجعلنا خاضعين لها، بل هي وسيلة لخدمة الإنسان وليس لإنتاج عمارتنا" [1] ، فعمارة هذا التوجه ذات أشكال تقليدية وتقنيات تقليدية من خلال تبني تفكير العربي المسلم في الماضي ضمن ظروف تنتمي للماضي أيضاً [17] .

إن هذا التوجه في منطلقاته وأهدافه يقابله التوجه العام الذي ساد الغرب في منتصف القرن الثامن عشر بالعودة إلى الماضي [23].

تعتبر ستينات القرن العشرين في العراق مرحلة جديدة في الساحة المعمارية وإتضاح توجهات محلية حاولت أن تعيد إلى العمارة ما قد سلب منها أثناء فترة الحداثة، ألا هو إنتماءها المكاني. تزامنت هذه الفترة مع فترة إزدهار إقتصادي بحيث برزت أفكار المعماريين ووجدت طريقها إلى التنفيذ [33].

- **نماذج من أعمال المعماريين الرواد العراقيين في التراث كمرجعية** (شكل 6)

يعتبر محمد مكية أحد أهم المعماريين العراقيين الذين تمسكوا بالتراث في العمارة بمستويات مختلفة:

- **النمط الشكلي** (Formal Type): حيث أنه لم يبتعد عن نمط المخطط المنفتح إلى الداخل (Inward looking) ، فكانت مخططاته بشكل عام تنويعات لفكرة البيت أو المبنى ذي الفناء الوسطي. وظلت العلاقة الشكلية (ما بين فضاء وسطي عام جامع وفضاءات ثانوية خاصة محيطة) متمثلة في أعماله، حتى لتشمل تلك الحالات التي تم فيها تسقيف هذا الفضاء كما في مبنى مصرف الرافدين في الكوفة.

- **الأطر الشكلية** (Formal Form): وفق نظرة إسلامية لمحددات اللغة المعمارية، عادة ما يقسم الشكل الواحد إلى وحدات بصرية أصغر بواسطة أحزمة رابطة بين أجزاء الشكل وتكون بالإتجاهين العمودي والأفقي، كما هو متبع في معظم الأمثلة المعمارية الإسلامية التاريخية ومنها المدرسة المستنصرية, هذه الأحزمة تمثل علاقة ارتباط الأجزاء ببعضها البعض ضمن الصورة الشمولية. ورغم أن شكل هذه العلاقة قد يختلف من نموذج معماري لآخر إلا أنها كعلاقة شكلية ثابتة الوجود في أعمال مكية. ولعل الإطار الأكثر وضوحاً في أعمال هذا المعمار هو الإطار الأفقي أي القمة (Cap) التي تعلو المبنى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **البنية الشكلية** (Formal Structure): فالأسطح عند محمد مكية كما في العمارة الإسلامية، ظل تصويرياً زخرفياً كعامل توحيد بصري هام للبنية الشكلية المرئية حيث غنى التفاصيل والدلالات التاريخية.

شكل (6) نماذج من أعمال المعماري محمد مكية - التراث كمرجعية

ج. التيار التوفيقي

نشأ هذا التيار كرد فعل على تطرف كل من التيارين السابقين، وكمحاولة للجمع بين أحسن ما في النموذج العربي الإسلامي وأحسن ما في النموذج الغربي [3]. فقد حاول أن يجمع ما بين أنموذجين كمصدر من مصادر التشريع للحياة العربية المعاصرة وللمستقبل العربي[30].

- **التوجه المعماري العربي التوفيقي:**

في منتصف القرن العشرين، ونتيجةً لتطرف النتاجات المعمارية للتوجهين السابقين التي تجسدت آثارها السلبية على المعمار، المتلقي، الشاغل، فقد ظهرت دعوات الإستلهام من الماضي وتعزيز القيم المحلية للعمارة وقد أثار اهتمام المعماريين ونقاد العمارة النجاح الذي حققتهُ تجربة اليابان والبرازيل والمكسيك وفنلندا [16].

كان ظهور التوجه التوفيقي في العمارة يدعو فيه المعماريون العرب إلى التوفيق بين التراث والغرب، كأساس لحل إشكالية التراث والمعاصرة من خلال تفسير التراث بمنظور أكثر انفتاحاً، على اعتباره نتاجاً فكرياً ومادياً يعكس الماضي، وأن بالإمكان تطويعه وتكييفه مع مستجدات العصر، فيكون أساس هذا التوجه التعايش مع الحاضر والارتباط بالماضي [17]. ينقسم هذا التوجه ضمنياً في الفكر المعماري العربي المعاصر إلى اتجاهين مختلفين هما :-

الاتجاه الأول :- الاتجاه الذي يدعو إلى تبني جوهر وآلية تفكير السلف (التراث) والتوفيق بينها وبين تكنولوجيا الغرب.

الاتجاه الثاني:- الاتجاه الذي يدعو إلى تبني جوهر وآلية تفكير الغرب والتوفيق بينها وبين النتاج المادي للتراث بشكله الكامل أو بعض تفاصيله كعناصر تراثية منتقاة.

تعتبر مرحلة السبعينات من القرن العشرين في العراق هي بداية نشوء مطلب إجتماعي جديد ألا وهو التعبير عن أمجاد الماضي من خلال العمارة (مما يصنف ضمن الفكر الإجتماعي السلفي) ومحاولة ربط الماضي بالحاضر، إلى غير ذلك من التطلعات التي لابد أن تفرض نفسها على المعمار، مستدعية أنماطاً أخرى من التفكير [33].

- التيار التوفيقي الأول (التراث- الحداثة):

تيار يرى أنه بالإمكان تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً مرناً يأخذ بإعتباره مقتضيات العصر، خصوصاً التكنولوجية منها. والمرونة المقصودة هي استخلاص القيم العامة من التراث الإسلامي دون التقيد الحرفي بالنصوص التي لا يمكن فهمها حق الفهم إلا بوضعها في سياقها التاريخي [25].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن هذا الاتجاه يغفل واقع العقل العربي المعاصر، ليؤكد منذ البدء على التحديث من بابه الواسع بأن يستسيغ منذ البدء، مستلزمات التحديث الأساسية متخذاً الغرب مرجعيته في مهمة التحديث، معتبراً هذه المبادئ وإن كانت تنتمي إلى الغرب في الحاضر ، فهي ذات جذور تمتد بعيداً في ماضينا العربي ، بل في أعماق شرقنا القديم [3].

- التيار التوفيقي الثاني (الحداثة- التراث):

تطبيق هذا المبدأ يقوم على قاعدة منهجية وضعية هي " الفصل في التراث بين المضمون والشكل، تماماً كما نفصل بين صورة القضية ومحتواها وفي الرياضيات بين قالب المعادلات ومكوناتها، وبما أن الصورة والقالب في المنطق والرياضيات هما وحدهما الثابتان، فكذلك يجب أن يكون الشكل في التراث هو الثابت الذي يجب أخذهُ، أما المضمون فبما أنه متغير فيجب أن نستمده من عصرنا نحن، لا بل من الذين نعيش معهم عصرهم " [31].

هذا التيار ينطلق من عقل صنعه الغرب ويحاول أن يبقي انتمائه القومي، من خلال الالتزام بالتراث في الشكل (المظهر) فقط دون أدنى التزام بالمضمون [3].

- نماذج من أعمال المعماريين الرواد العراقيين في التوجه التوفيقي (شكل 7)

- المعماري **رفعت الجادرجي** الذي يرى بأن معماري هذا التوجه يصمم متأثرا بالمخططات الغربية ويستعين بالعناصر التراثية لتزيين الواجهات. وقد ذكر الجادرجي [5] " أنني لا أنكر ولا ارفض المزج بين جمالية مرحلتين أو صنفين في تطور العمارة شريطة أن يتم إنتاج كل عنصر، أو كل إدخال بواسطة استخدام التقنية الخاصة فيه، وأن يلتزم كل إدخال بمفاهيمه الجمالية التي كانت المقرر الأصل في توليده، وذلك لضمان جعل الشكل الجديد، الحصيلة أو التكوين الذي يجمع بين مختلف الطرز والمفاهيم الجمالية مستوفياً للمستلزمات الضرورية للمقومات التقنية عند توليده بكل جزء منه".

- المعماري **هشام منير** في المرحلة الثانية من أعماله تأثر بالتوجهات المحلية وأعاد بعض المفردات التاريخية كشكل وليس فضاءات فكان استلهامه من التراث صورياً زخرفياً فقط. يذكر السلطاني [9] عن تصميم مبنى أمانة العاصمة " فالمعمار الذي ما فتئ يحرص على عدم نسيان قناعاته التكوينية (رغم ان الزمن قد تجاوزها بشكل وبآخر)، يسعى وراء خلق توليفة تصميمية، بمقدورها، وفقاً لرؤاه، أن تجمع الحديث والقديم على سطح واحد، وإن حضور القوس المدبب، الذي يمتد بطوله العالي على سطح الواجهة الامامية، ليصل تخوم تاج المبنى وقسمه العلوي، وواضح ان المعمار ينشد بوجود هذا العقد التذكير بخصوصية ثقافة المكان".

- المعماري **قحطان المدفعي** في المرحلة الثانية من أعماله بدأت النحثية تتخذ صوراً أكثر جرأة، خاصة وإنها خرجت عن تجريدها لتشير إلى دلالات مكانية بإسلوب تعبيري كما في مبنى جمعية الفنانين التشكيليين، حيث أدخل عنصراً نحتياً يعكس مفهوم الفضاء المستمر (السقف ذو العقود الكونكريتية المستمرة) والذي لا يمكن انكار دلالاته المكانية في استنباط العقد الإسلامي وشكل القبة إضافة إلى المخطط العام والتفاصيل في تصميمه لجامع بنية الذي استعان فيه باللغة التقليدية لتصميم الجوامع.

- المعماري **قحطان عوني** تميز بين جيله من المعماريين لكون نتاجه عبر عن استيعاب لفكر العمارة الحديثة ولم يكن مجرد تقليد لنتاج غربي، إذ يقوم على أساس تجزئة الكتلة المعمارية إلى أجزائها الأولية، ومن ثم تجميعها بعلاقة تركيبية تكعيبية Cubicle Syntax، مما يعبر عن روح الحداثة بالرغم من الدلالات التاريخية المتمثلة في أشكال المفردات كالقبة، الجدار المنكسر والفتحات المقوسة [33]. "وفي تصميم الجامعة المستنتصرية يفاجئنا المعمار بالامكانات الهائلة الكامنة في هاتين المادتين (الطوب والخرسانة) وخاصة في القاعة الرئيسية التي استخدم فيها الطوب المحلي في بناء نحتي حداثي" [10].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكل (7) نماذج من أعمال المعماريين الرواد العراقيين في التوجه التوفيقي

4. تحليل الواقع المعاصر

من أجل تقييم التوجهات آنفة الذكر، التي عَبَرَت عن بداية مرحلة من الوعي العربي على صعيد الفكر بشكل عام والعمارة بشكل خاص، والتي تـُعرف اصطلاحاً بالمعاصرة يجد البحث إن من الموضوعية دراسة وتحليل الواقع التي انبثقت منه هذه التوجهات عن طريق التحليل التاريخي، ومن خلال تحليل بنية الإشكاليات والتحديات التي كان لها إنعكاس على تكوين الفكر العربي، والتي يمكن تصنيفها كما يلي :-

4.1 إشكاليات ذاتية

وهي الإشكاليات التي تتعلق ببنية العقل العربي (التراثية والاجتماعية والسيكولوجية) ومرجعياته المتقاطعة مع مطالب الإنسان والمجتمع بظواهر التخلف، الفقر، المرض، الجهل والاستبداد وجميع المؤثرات السلبية التي تعوق أداء الإنسان وتـُضعِف فاعليتهُ وشعورهُ بالمسؤولية [4]. ويمكن تحديد هذه الإشكاليات وتأثيرها ضمن التسلسل التاريخي والمنطقي التالي :-

أ. مرحلة الغزو الاستعماري والتجزئة

يمكن اعتبار بداية مرحلة تدهور المجتمع العربي مع سقوط الدولة العباسية، بدأً من القرن العاشر الميلادي. وكان الضعف في أشد لحظاتهُ في القرون الثلاثة التالية، التي شهدت سقوط القدس عام 1099 م ، وسقوط بغداد (عاصمة الخلافة العربية الإسلامية) عام 1258م . ثم تلتها انفصال الأندلس في أواخر القرن الثامن. تلاها انفصال أطراف الدولة العربية الإسلامية البعيدة عن عاصمة الخلافة وانتقلت العواصم بين الجزيرة والشام والعراق ومصر. وتـُركت بعض المناطق العربية أحياناً لتنكفئ على نفسها في عزلة طويلة [22]. من هذه الحقبة التاريخية حول التجزئة يمكن أن نستنتج ما يلي :

- إن حالة التجزئة التي مرت بها الأمة العربية وخضوعها تحت سيطرة أطراف مختلفة في مرجعيتها الثقافية، أدى إلى انحسار المرجعية الواحدة.
- أدى ضعف الشعور بالانتماء للثقافة العربية الإسلامية كمرجعية ثقافية موحدة بالنسبة للعرب وإلى غياب الإطار الثابت الذي تتغير وتتطور ضمنه آلية تفكير العقل العربي، ذلك الإطار الذي يحفظ لها هويتها في الفكر والنتاج المادي ويحفظ لها تمييزها عن الآخرين كمحاولة لطمس الهوية العربية.

ب. مرحلة الغزو الثقافي

بدأت هذه المرحلة بشكلها الواضح بظهور العثمانيين، حيث كانت السياسة العثمانية تستهدف إبعاد العقل العربي عن اللغة (العربية) باعتبارها تشكـِل منطق الفكر بالنسبة للعقل العربي. والقوة التي تربط العرب تاريخياً وفكرياً، علماً أن الغزو الفرنسي لمصر وإدخال معالم الحضارة الأوربية معهم يؤشر أن نواة النهضة العربية كمنت في حملة نابليون على مصر واستشعار الأثر الأوربي في تحديث العقل العربي [12]. وبذلك فإن الغزو الثقافي كانت له الآثار السلبية التالية:-

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- حملة إبعاد اللغة العربية ، تعني الضياع التدريجي لمنطق وآلية التفكير التي تميز بها العقل العربي، في محاولة استعمارية لطمس الشخصية العربية .
- كان غياب منطق وآلية تفكير الذات العربية النابعة من خصوصية وبنية تكوين العقل العربي الأثر الأساس في انفصال الذات العربية عن تسلسله التكويني التوالدي مع حلقات التراث.

4.2 إشكاليات موضوعية (خارجية)

تتعلق هذه الإشكاليات بالمشروعات الأجنبية التي وضعها الغرب منذ قرون بهدف إبقاء المجتمع العربي متخلفاً ضعيفاً هامشياً، وكانت وطأة هذا العامل ثقيلة على المشرق والمغرب على السواء .

أ. الضغوط الخارجية للغرب المستمرة على العرب:

حيث عانى المجتمع العربي ودوله وميزانياته وخططه الإصلاحية، من الضغوط الخارجية وما رافقها من حروب، ومداخلات، مستغلة الإشكاليات الذاتية لترهق كاهل العقل العربي [4] مما أدى إلى إنشغال العربي بهموم الواقع المتردي وأدت إلى عيش العقل العربي في حالة سبات عززت من مرحلة الإنقطاع الحضاري، غاب فيها العقل العربي كطرف في التفاعل الحضاري مع الغرب.

ب. تطور الغرب

إن الإنسان العربي وقد أحس بتفوق الغرب، وهو الذي يحمل في أعماقه ميراث وقيم وتقاليد انحدرت إليه من حضارة عظيمة دفعه للتساؤل عن سر تفوق الغرب [30]، فلم يجد القدرة الكافية على موائمة معدلات تفاعله الإجتماعي مع التطور التكنولوجي السريع ومن ثم موازنه احتياجاته المادية بإحتياجاته المعنوية [1]، مما أدى إلى:

- فقدان الثقة بإمكانيات العقل العربي الكامنة والاستسلام لواقع أملاه عليه الغرب .
- الانبهار بما وصل إليه الغرب من تطور في كل مجالات الحياة.
- السعي المستمر من قبل الغرب إلى إرساء دعائم النظام العالمي (العولمة).

5. مقومات الهوية المعمارية

ذكر شولتز [42] " أن العمارة نتاج يعكس الفكر والحالة الإجتماعية والثقافية للإنسان والتي بدورها تختلف من شخص إلى آخر. أي أن العمارة تعكس هوية الفرد والمجتمع (الهوية الثقافية والإجتماعية للمجتمعات)". وفي رأي هابراكن [37] " إن الساكنين في مدينة معينة لا يمكنهم إمتلاك مدينتهم ويستمرون بالسكن في البيئة التي لا تكون جزءاً منهم، وللتوصل إلى تحقيق الهوية في مثل هذه البيئة، فإن على الساكنين إحداث تغيير والذي لا يوجد دونه حل آخر" . أما الجادرجي [6] فإنه "يعزي انبثاق مفهوم الهوية في العمارة من عاملين هما العامل الوراثي الذي يقصد به مجمل التقاليد والأعراف والعادات والثقافات الإجتماعية والأديان والتشريعات، والعامل البيئي ويقصد به البيئة المكانية التي تشمل طبيعة المناخ ونوعية المادة البنائية". في حين يشير لينج [39] إلى " أن الإنطباعات التي توفرها العمارة للإنسان تحدث نتيجة عملية إدراكها، وإن هذا الإدراك لا يحدث إلا عند امتلاك الإنسان المتلقي نفس التوجه الفكري والفلسفي إضافة إلى التوجه البيئي والمتضمن المعالجة المكانية والمناخية".

أما جريجوتي [36] فيذكر "إن ما يمتلكه المكان من معطيات هي التي تميز مفهوم الهوية المعمارية في تلك البقعة من الأرض". وأكد السلطاني [11] " تظل الهوية، بمعناها الشامل تمثل صيغة إبداعية معاصرة وحتى مستقبلية، أكثر منها حدثاً ماضوياً. إنها تشكل وتتمثل طبقاً لسيرورات المدينة المستمرة، المدينة التي تحنو على سكانها فتتبدى محبتهم لها عبر رمز تنتقيه الذاكرة الجمعية، ليغدو في النتيجة تعبيرا عنها وهوية لها" .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال أدونيس [2] " لا تأتي الهوية من (الداخل) وحده ولا من (الخارج) وحده: إنها في هذا التفاعل المتحرك أبداً. لذا يمكن القول إن الهوية ليست في ما يثبت بل في ما يتغير ، إنها تتجلى في (الإتجاه نحو) لا في (العودة إلى)، إنها في التفتح، لا في التقوقع، في التفاعل لا في العزلة، في الإبداع لا في الإجترار".

6. تقييم العمارة العربية المعاصرة في العراق

عند تحليل التوجهات الفكرية العربية المعاصرة والخلفية التاريخية التي أدت إلى ظهور هذه التوجهات يمكن القول إن المرحلة المعاصرة بتياراتها الفكرية وعلى الرغم مما بينها من اختلاف في الرؤية والنهج إلا أنها ترتبط على نحو ما بشيء ما يجمعها على صعيد واحد وهو " الأنموذج المثال " المطلوب نسخه وتكراره [30]، مما جعل بالإمكان تقييمها كمرحلة واحدة من النشاط الفكري والمادي وللأسباب التالية:-

أ. نتيجة انفصال مرحلة المعاصرة عن تسلسلها التاريخي مع التراث (الانقطاع الزماني) وانعدام التفاعل المتكافئ مع الغرب (الانقطاع الحضاري، المكاني)، فإن التوجهات المعاصرة أصبحت تنظر إلى كل من التراث والغرب باعتبارهما يمثلان طرفان في معادلة متساوية في وزنها مختلفة في اتجاهها.

ب. بسبب الظروف التاريخية التي مر بها الوطن العربي وآثارها في تحجيم دور آلية تفكير العقل العربي، فإن الواقع العربي ضمن كل التوجهات المعاصرة يؤكد الحاجة للتبعية إلى مرجعية يتكئ عليه، أما التراث، أو الغرب أو التوفيق بينهما، دون المرور بمرحلة المساءلة عن الإمكانيات الزمانية والمكانية المتبناة مع واقع العرب.

ج. التوجهات المعمارية الثلاثة إعتمدت على مرجعيات مختلفة في الزمان (التراث) ضمن المكان أو اختلاف المكان (الغرب) ضمن نفس الزمان وتظهر المخططات التوضيحية المدخلات والنتائج لكل من هذه التوجهات ضمن الفكر والتطبيق على أرض الواقع (شكل 7-8-9).

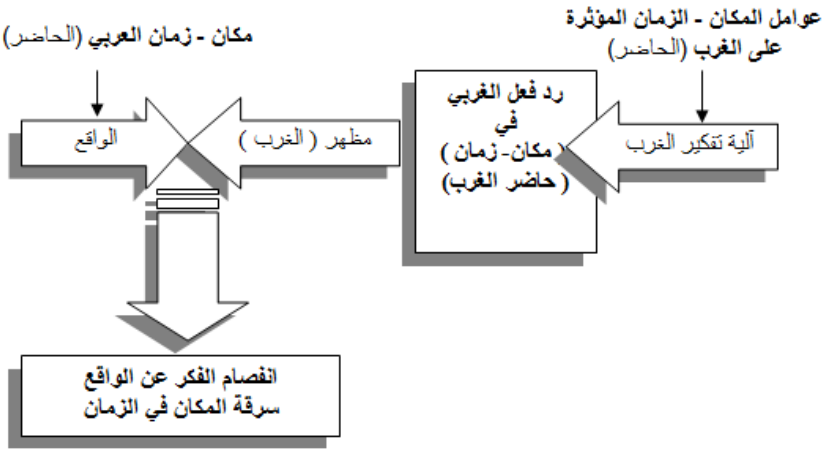

شكل (7) منظور التوجه الرافض للتراث في العمارة، الفكر والواقع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

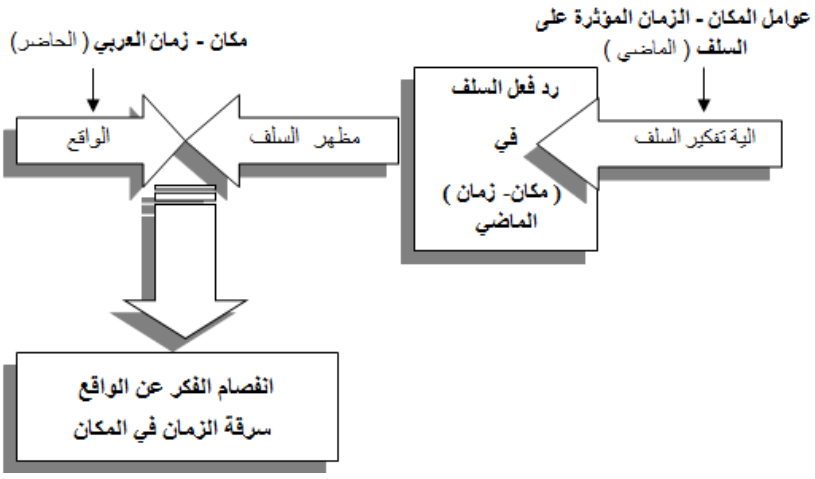

شكل (8) منظور التوجه السلفي (الرافض للغرب) في العمارة، الفكر والواقع

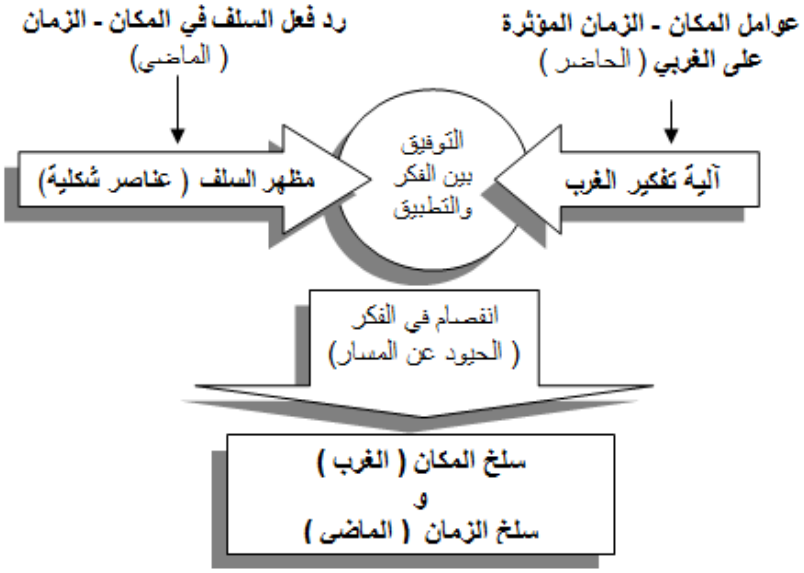

شكل (9) منظور التوجه التوفيقي في العمارة، الفكر والواقع

6.1 إشكالية الإبداع

مرحلة المعاصرة في العمارة ونتاجها متمثلاً في التوجهات الثلاثة ظلت أسيرة بدائل، فلقد عاشت التوجهات الثلاثة على غذاء ثقافي أشبه بالمعلبات المستوردة، لأنها بقيت أسيرة لمناهج الاقتباس والنقل والترجمة مستلبة الشخصية منفعلة انفعالاً سلبياً استسلامياً. وبذلك فإن الاعتماد على آلية تفكير مغتربة عن الزمان أو المكان أو كليهما قد نفى وجود أول مقومات الإبداع ، وهي الجدة في النتاج (الفكري– المادي). حيث أن التوجه الرافض للحداثة كان سارقاً للزمان (ردود فعل السلف) مع محاولة إقحامه بشكل قسري في الحاضر. والتوجه الرافض للتراث كان سارقاً للمكان (ردود فعل الغرب) ومحاولة إقحامه بشكل مصطنع.

أما التوجه التوفيقي فقد كان سالخاً للزمان والمكان. ويتساءل محمود [32] عن كيفية الجمع بين متناقضين بين القديم والجديد " كيف يكون الفكر عربياً وفي الوقت نفسه يكون معاصرا ؟ لأنه عندما يكون عربياً فان ذلك يعني انه يغوص في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التراث وعندما يكون معاصراً فإن عليه ان يكون غائصاً في علوم العصر وآدابه". من هنا برز الإبداع كإشكالية في العمارة العربية المعاصرة بنتاجها (الفكري – المادي) خاصة عندما يطلق مصطلح عربي دلالة على التراث.

6.2 إشكالية الهوية

توضح الآراء والدراسات التي تناولت موضوع الهوية المعمارية بأنها علاقة جدلية متجددة بين الإنسان والمكان والزمان، فكل تجربة حضارية تحمل خصوصيتها الثقافية لإختلاف التراث والثقافة من حضارة إلى أخرى [27] . والهوية المعمارية ليست عنصراً جامداً أو ثابتاً، بل تتحول مع الزمن، أي أنها ذات صفة ديناميكية. كما أنها ليست شيئاً ملموساً بل هي ترتبط بالأثر الذي تخلفه الحضارة عبر العصور، ونجدها من خلال أنفسنا وبيئتنا، وأية محاولة لاختصار هذه الأسلوبية في التعامل يعني اصطناع واختلاق هوية وهذا يكون له نتائج وخيمة نراها تتجلى بشكل صارخ في مدننا العربية [33].

إن تحليل التوجهات المعمارية المعاصرة الثلاث يُشير إلى انعدام المشاركة الحقيقية الفاعلة لآلية العقل العربي المعاصر، ضمن زمان – مكان النتاج الفكري والمادي كان سبباً لظهور تساؤل مستمر يتمثل في ماذا نأخذ من التراث ؟ وليس كيف نأخذ من التراث ؟. والتي أدت إلى إدخال عناصر وعلاقات شكلية تراثية تبرز في وضع تصاميم معمارية تهدف إلى إبراز الهوية، وأخيراً الوصول إلى واقع معماري يحمل سمات تراثية كهوية مصطنعة خارج حدود الزمان والمكان (شكل10). وأصبحت الهوية تعبيراً رمزياً، سكونياً يبتعد عن التجديد [24].

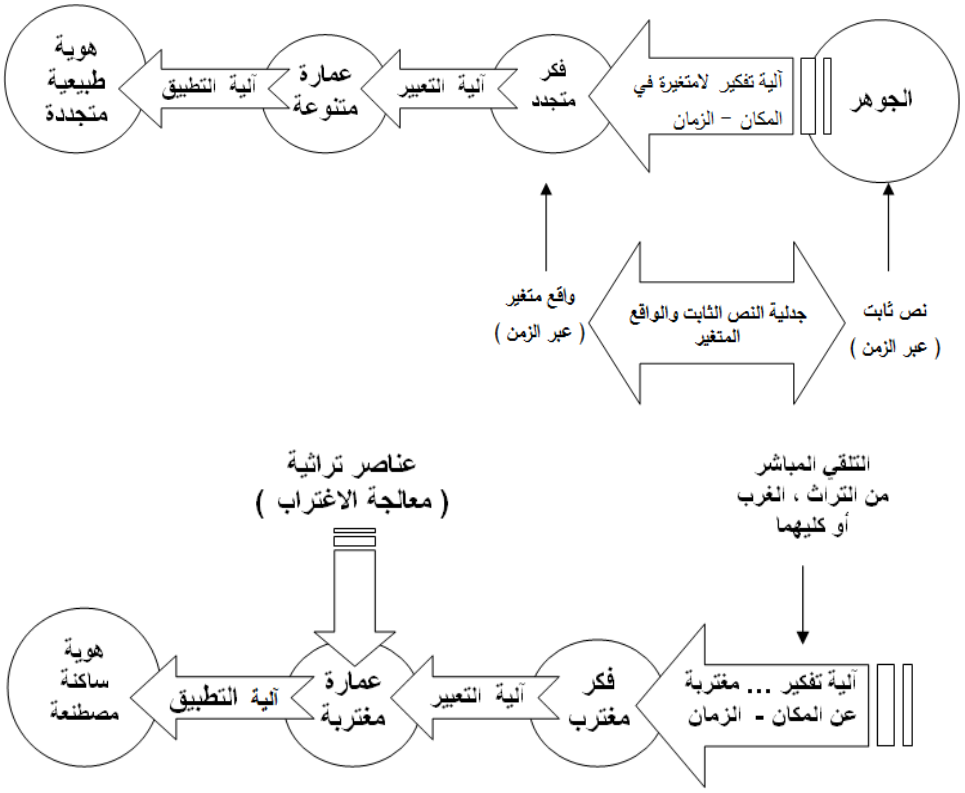

شكل (10) الفرق بين الهوية الطبيعية والهوية المصطنعة في العمارة

6.3 إشكالية التقانة

البحث العلمي هوعملية اكتشاف العلم واستعمال التفكير البشري بأسلوب منظم لمعالجة المشاكل التي لا تتوفر لها حلول، والعلم هو وليد البحث العلمي. أما التقانة فهي التطبيق العملي للعلم والمعرفة، إنها حصيلة التطبيق العملي على نطاق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صناعي وتجاري للاكتشافات والاختراعات العلمية [15]. فالتقانة هي إتقان فن التطبيق، وبذلك فإن العلم يكمن في معرفة السبب (Know Why) بينما التقانة (التكنولوجيا) تكمن في معرفة الكيف (Know How). فالتقانة لا يمكن أن تكون إلا ظاهرة جماعية وإجتماعية ، تهم أفراد المجتمع ، وتؤثر في أنماط حياتهم [19].

من خلال ما سبق حول الفرق بين عمومية العلم وخصوصية التقانة يمكن إدراك إن ما عاناه العقل العربي المنتج للعمارة ضمن التوجهات الثلاثة هو تلقيه العلم بتقانة المجتمع المنتج لها في حصيلتها النهائية، فتغاضى بذلك عن اختلاف الزمان والمكان وأهمل خصوصية الزمان الذي يحتم اختلاف مستويات معرفة السبب مع تطور العقل البشري، وخصوصية المكان الذي يحتم اختلاف الكيف ضمن خصوصية بنية التكوين في التعامل مع الثوابت والمتغيرات. فكان من الطبيعي عدم ملائمة النتائج وغربتها وظهور التكنولوجيا كإشكالية.

لقد حدد صعب [26] العناصر الضرورية لعملية التحديث عندما قال " عندما دخلنا عصر الاكتشاف كنا متفرجين لا مشاركين، فان ذلك يعود بالدرجة الاساس الى طبيعة العقل العربي الذي هو بعيد كل البعد عن روح العصر، فهذا العقل لا يثمر الموارد الاقتصادية التي يمتلكها تثميراً إنتاجياً وإنما يهدرها هدراً إستهلاكياً، وهو يؤثر تجريد الظواهر الطبيعية والاجتماعية على ملاحظتها ويستعين بالرموز والخواطر على الملاحظات والتجارب، ماخوذ بالقياسات الكلامية والآيديولوجية، وهنا يدعو التقني العقل العربي للتحول من صناعة الكلمات الى صناعة الاشياء".

7. نتائج البحث:-

1. لم تستطع التوجهات المعمارية العربية المعاصرة الخروج من دوامة التقليد على الرغم من المسافة الواسعة والهوة العميقة بين الواقع العربي المعاصر والتراث (إختلاف الزمان).
2. التوجهات المعمارية المعاصرة تتأرجح بين طرفي معادلة مستحيلة الحل وتطمح إلى تحقيق التوافق والتكامل بين سلطتين مرجعيتين مختلفتين تماماً، متنافستين ومتصارعتين بحكم انتمائهما إلى زمان ومكان مختلفين، ونمطين حضاريين متباينين: سلطة النموذج العربي الإسلامي (التراث) وسلطة النموذج الغربي المعاصر.
3. لم يستطيع الفكر العربي المعاصر ضمن التوجهات الثلاثة الخروج من دائرة المصطلحات باتخاذ التراث رمزاً للأصالة والغرب رمزاً للحداثة، مع طرحها كإشكالية جعلت العقل العربي المعاصر أسير بدائل تُقَيَم أصالتها بمدى ارتباطها بالتراث ومعاصرتها بمدى ارتباطها بالغرب.
4. إن خطأ المقدمات يؤدي بالضرورة إلى خطأ النتائج، فاتخاذ مصطلح الأصالة باعتباره يمثل التراث، يعطي نتيجة مسبقة بأن أي نتاج فكري أو مادي لن يكون أصيلاً إلا باتباع التراث كمرجعية، وكذلك المعاصرة باعتبارها الغرب، فإن أي نتاج لن يكون معاصراً إذا لم يقتفي آثار الغرب. فأصبحت المصطلحات تشكل عائقاً في طريق بناء التوجه المعماري العربي المعاصر.
5. العمارة العربية المعاصرة من خلال طروحاتها الفكرية ونتاجها المادي في الواقع استطاعت بأمانة أن تعكس التوجه الفكري العام السائد الذي زامنها بمعنى أنها كانت واقعية بالنسبة للعصر الذي تعيش فيه، وحالة الفوضى والإرباك التي تشهدها العمارة العربية المعاصرة تشير إلى وجود حالة من الإرباك يشهدها واقع الفكر العربي المعاصر.
6. العمارة العربية المعاصرة ضمن التوجهات المطروحة لم تستطع الوصول إلى أهدافها في تحقيق الهوية وظلت تمثل تجارب معمارية فردية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8. التوصيات:-

يوصي البحث ومن أجل إرساء دعائم النظرة المستقبلية لبناء الهوية العربية في العمارة المعاصرة بما يلي:

1. ضرورة فهم الذات للعقل العربي في الزمان والمكان باعتباره يمثل نقطة الانطلاق الحقيقية لكل نتاج فكري ومادي معاصر.
2. تقييم الإنتاج المعماري العربي المستقبلي على أساس مدى تعبيره عن حاجات ورغبات الإنسان العربي ضمن الواقع في المكان والزمان بعيداً عن المصطلحات، كالتراث والحداثة، التي أصبحت تشكل عبئاً يعرقل آلية تفكير العقل العربي المعاصر. فمصطلح إشكالية التراث والمعاصرة قد أدى إلى زيادة الإرباك في فهم الواقع العربي، والانشغال عن مرحلة البناء الفكري المعاصر ونتاجه المادي في مشروعية المسميات.
3. أن الهوية في العمارة تتحدد في بناء توجه فكري معماري يستوعب ويلبي متطلبات وحاجات وسلوكيات وتقاليد العربي اليوم ضمن احترام لخصوصية المكان (المناخ، التضاريس، الموارد المتوفرة) وما يوفره الزمان الحاضر من تكنولوجيا تساعد في تطبيق الفكر، وبالتالي ستكون الهوية المعمارية العربية هي النتيجة الحتمية عند الوصول للحلول المرضية للإنسان في المكان والزمان.
4. التقليد في العمارة وكل الفنون كبداية، ممكن أن يكون مدعاة لصقل المواهب ومرحلة إنتقالية إلى التعبير الذاتي الخاص. إلا أن الوقوف عند مرحلة التقليد والاقتناع بهذه المرحلة هو أساس المشكلة، لذلك فإن التحليل والنقد والتقييم المستمر للمرحلة وتشخيص الأخطاء يمكن أن يتمخض عن مرحلة من الوعي الناضج في بناء المعاصرة في النتاج الفكري والمادي للعمارة العربية.

المراجع العربية:-

1. إبراهيم، عبدالباقي. *تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة*. القاهرة : مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، 1982.

- Ibrahim, Abdul Baki, *Taasel al- qiam alhatharia fi binaa' al-madina al-isalmia al-mua'sera*. Al-qahera: markaz al-dirasat al- takhtetea wa al- miamaria, 1982.

2. أدونيس. *المحيط الأسود*. بيروت : دار المساقي، 2005.

- Adonees. *Al- Muheet al- aswad*. Beirut: dar al saqi, 2005.

3. الجابري ، محمد عابد. *الخطاب العربي المعاصر*. بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، 1982.

- Al- Jaberi, Mohammed Abed. *Al-khitab al-arabi al- muasir*. Beirut: Dar al-talea li al-tibaa wa al nasher, 1982.

4. الجابري، علي حسين. *العقلانية العربية النقدية والموقف من المتغيرات الفلسفية العالمية المعاصرة- الفكر الفلسفي العربي المعاصر*. بغداد: بيت الحكمة، مطبعة الأديب، 1999.

- Al- Jaberi, Ali Hussain. *Al- aqlania al-arabia al-naqdia wa al-mawqf min al- mutaghairat al-falsafia al-alamia al- muasira- al-fikr al-falsafi al-arabi al-muaser*. Baghdad: bait al-hikma, matbaat al- adeeb, 1999.

5. الجادرجي، رفعت. *الأخيضر والقصر البلوري*. لندن : رياض الريس للكتب و النشر ،1991.

- Al- Ahaderchi, Rifaat. *Al- akhethir wa al-qasr al-balori*. London: Ryath al-rais le al-kutub wa al-nashir, 1991.

6. الجادرجي، رفعت." دور التراث في العمارة العربية المعاصرة في العراق." مجلة فنون عربية ع3 (1981):17-18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-Al- Chaderchi, Rifaat " Daur al-turath fi al- amara al-arabia al- muasira fi al-iraq" majalat finon Arabia #3 (1981):17-18.

7. الجادرجي، رفعت. " الحداثة في قالب محلي." مدونة الكترونية.
http://layoutmeg.blogspot.com/2017/05/blog-post_3.html (تاريخ الزيارة 3-5-2018).

- Al- Chaderchi, Rifaat "Al-hadatha fi qalib mahali" muduana alikitronia (al ziara 3-5-2018).

8. الخوري، بولس. *تراث وحداثة- قراءة للفكر العربي الحالي*. بيروت: المكتبة البولسية، 1999.

- Al-Khori, Polis. *Turath wa hadatha- qiraa lil-fiker al- arabi al-hali*. Beirut: al-maktaba al-polisya,1999.

9. السلطاني، خالد. " عمارة مكتب هشام منير- مهنية المنجز وحداثته." مجلة إيلاف الألكترونية.
http://elaph.com/Web/Culture/2011/5/656803.html (تاريخ الزيارة 9-7- 2018).

- Al-Sultani, Khalid." Amarat maktab hisham muner- mahaniat al- mungaz wa hadathituho." Majalat ilaf al- alikitronia (ziara 9-7-2018).

10. السلطاني، خالد. "عمارة قحطان عوني -المفهوم الخاص للمكان." مجلة الحوار المتمدن الألكترونية.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=107206 (تاريخ الزيارة 10-7- 2018).

- Al-Sultani, Khalid."Amarat qahtan auni-al-mafhom al-khas lil-makan." Magalat alhiwar al-mutamedin al-aleliktronia (ziara10-7-2018).

11. السلطاني، خالد. " في معنى (هوية بغداد)." مجلة الخبر الألكترونية.
http://www.akhbaar.org/home/2008/10/55308.html (تاريخ الزيارة 10-7- 2018).

- Al-Sultani, Khalid. " Fi maana (hawiat baghdad)." Magalat alkhabar al-aleliktronia (ziara10-7-2018).

12. الأعسم،عبد الأمير. *دراسة معمقة للبحث عن منهج جديد للفكر العربي المعاصر*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1997.

- Al-Aasam, Abd Al-Ameer. *Derasa muamaka lilbahith an manhag gadeed lil-fiker al-arabi al-muaser*. Baghdad: dar al-shiaon al-thaqafia al-ama,1997.

13. آل ياسين، جعفر. *المدخل إلى الفكر الفلسفي عند العرب*. بغداد: الموسوعة الصغيرة، 1978.

- Al-yaseen, gaafar. *Al-madkhal ila al-fiker al-falsafi ind al-raba*. Baghdad: al-mausoa al-saghera, 1978.

14. الراوي، حسام. " التراث والمعاصرة والتوجهات الحديثة في العمارة." مجلة آفاق عربية ع 5-6(2001) :158-161.

- Al-Rawi, Hussam." Al-turath wa al-muasara wa al-tawaguhat al-haditha fi al-amara." Magalat afaq arabia #5-6(2001): 158-161.

15. الراوي، ناجح. *العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي وتحديات العصر*. بغداد:1997.

- Al-Rawi, Najeh. *Al-elm wa al-taknalogia fi al-watan al-rabi wa tahadiat al-aser*. Baghdad:1997.

16. السلطاني، خالد." العمارة الحديثة في العراق." مجلة آفاق عربية ع9(1985): 32-36.

- Al-Sultani, Khalid. " Al- amara al-haditha fi al-iraq." Magalat afaq arabia #9(1985): 32-36.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17. المالكي، قبيلة فارس." العمارة المعاصرة في العالم الإسلامي." عمان: مؤتمر إشكالية الهوية ، 1998.

- Al-Maliki, qabila faris." Al-amara al-muasira fi al-alam al-islami." Amman: moatamir ishkaliat al-hawia, 1998.

18. الملا حويش، عقيل. *العمارة الحديثة في العراق* . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1987.

- Al-Mula huwaish, Aqel. *Al-amara al-haditha fi al- iraq*. Bghdad: Dar al-shuaon al-thaqafia al-ama, 1987.

19. النعيمي، طه تايه. *العلم والتقانة وإعداد الإنسان- تحدي البقاء الحضاري للأمة العربية*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1997.

- Al-Nuaimi, Taha Taih. *Al-elm wa takana wa e'adad al-insan- tahadi al-baqa'a al-hathari lil- uma al-arabia*. Baghdad: Dar al-shuaon al-thaqafia al-ama,1997.

20. بيرك، جاك. *العرب- تاريخ ومستقبل*. ترجمة خيري حماد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،1971.

- Berk, jak. Al-arab – *tarekh wa mustaqbal*. Targamat khairy hammad, Al-qahira: al-haiaa al-masrya al-ama lil-ta'aleef wa al-nasher,1971

21. جدو، ينار حسن. *المذاهب الفكرية الحديثة والعمارة- بحث في مناهج النقد المعماري*. بغداد: دار الطليعة للطباعة والنشر،1993.

- Gedo, Yanar Hasan. *Al-mathahib al-fikrya al-hadeetha wa al-amara- bahith fi manhag al-nagid al-mi'amari*. Baghdad: Dar al-taleea lil-tiba'a wa al-nashir,1993

22. خلوصي، محمد ماجد." البعد الحضري في العمارة الإسلامية." عمان : مؤتمر إشكالية الهوية، 1998.

- Khalusi, Mohammed Majid." Al-bu'ad al-hathari fi al-amara al-islamia." Amman: moatamir ishkaliat al-hawia, 1998.

23. رزوقي، غادة موسى . *الخصوصية في العمارة*. ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، جامعة بغداد،1987.

- Rizoqi, ghada Musa. Al-khususya fi al-amara. Magestair, qissim al-handsa al-mi'amarya, gamia't baghdad,1987

24. شفيق، جنان. *نحو عمارة عربية إسلامية معاصرة*. ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، جامعة بغداد،2001.

- Shafiq, Jeanan. *Nahwa imara Arabia Islamia mua'sira*. Magestair, qissim al-handsa al-mi'amarya, gamia't baghdad, 2001.

25. شكري، غالي. *التراث والثورة*. بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر، 1979 .

- Shukri, Ghali. *Al-turath wa al-thawra*. Beirut: Dar al-talea' lil-tiba'a wa al-nashir,1979

26. صعب، حسن. *تحديث العقل العربي*. بيروت: دار العلم للملايين، 1980.

- Saub,Hasan. *Tahdeeth al-aqel al-arabi*. Beirut: Dar al-elm lil-malayeen,1980.

27. عبدالله، خالد حسين. *النهضة في الفكر العربي المعاصر- دراسة مقارنة في فكر حسن حنفي ومحمد عابد الجابري*. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2010.

- Abdulah, khalid Hussain. *Al-nahda fi al-fiker al-arabi al-mua'sir-derasa muqarina fi fiker hassan hanafi wa muhammed abd al-gaberi*. Al-qahira: maktabat madbuli, 2010.

28. عبداللطيف، رافد. *المكان كنظام*. دكتوراه، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية ، 1997.

- Abul-Latheef, Rafid. *Al-makan knizam*. Diktorah, qissim al-handsa al-mi'amarya, al-gamea' al-taknologya,1997.

29. عبد الغني، مصطفى. *تيارات الفكر العربي المعاصر*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2001.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- Abd Al-Ghani, Mustafa. *Tayarat al-fiker al-arabi al-mua'ser,* Al-qahira: al-maglis al-aa'la lil-thekafa,2001.

30 .عزيز،عباس رحيم."تيارات الفكر العربي وسلطة الأنموذج." صحيفة حريات الألكترونية. (تاريخ الزيارة 20-7- 2018). http://www.hurriyatsudan.com/?p=53133

- Aziz, Abbas Raheem." Tayarat al-fiker al-arabi wa sultat al-inmothag." Saheefat huriat al-alektronia, (ziara 20-7-2018).

31. محمود ، زكي نجيب. *تحديث الفكر العربي*. بيروت : دار الشروق للطباعة ،1971.

- Mahmoud, Zaki Nageeb. Tahdeeth al-fiker al-arabi.Beirut: Dar al-shrouq lil-teba'a, 1971.

32. محمود، زكي نجيب. *تجديد الفكر العربي*. القاهرة: دار الشروق،2004.

- Mahmoud, Zaki Nageeb. Tagdeed al-fiker al-arabi.Al-qahira: Dar al-shrouq, 2004.

33. مكي، سحر فالح. *أزمة هوية العمارة في المدينة العربية المعاصرة*. ماجستير، كلية الهندسة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2005.

- Meki, Sahar Falih. Azmat haweiat al-imara fi al-madina al-arabia al-muasira. Magestair, kuliat al-handasa, gamia't al-sudan lil-ilom wa al-taknologya, 2005.

34. يوسف، خالد علي. *العمارة المعاصرة والمردود الفكري والتطبيقي على العمارة المصرية*. دكتوراه، قسم الهندسة المعمارية، جامعة أسيوط ،2001.

- Yousif, khalid Ali. *Al-amara al-mu'asira wa al-mardod al-fikri wa al-tatbeqi ala al-amara al-masria.* Dictora, qisim al-handasa al-mi'amarya, gami'at asyut,2001

المراجع الأجنبية:-

35. Collins, Peter. *Changing Ideals in Modern Architecture*- 1750-1950. London: McGill-Queen's University Press,1975.

36. Gregotti, Vittorio. "Territory and Architecture." Architectural Design Profile 59, No.5-6 (1985): pp28-34.

37. Teicher, J. and Habraken N.J. *An Alternative to Mass Housing*. London: Urban International Press, 1999.

38. Leuthäuser, Gabriele and Gössel P. *Architecture in the Twentieth Century*. UK: Taschen, 2005.

39. Lynch Kevin. *The image of the city*. London: MIT Press, 1960.

40. Parr, A. and Zaretsky M. *New Directions in Sustainable Design.* London: Routledge, 2011.

41. Rapoport, Amos. *Culture, Architecture, and Design.* NY: Locke Science Publishing Company, 2005.

42. Schulz, Ch. Norberg. *The Concept of Dwelling*-On the Way to Figurative Architecture. NY: Electa/Rizzoli, 1985.

43. Udo, Kulrermann. *Architecture in the 20th Century*. NY: Van Nostrand Reinhold, 1993.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com